دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	قلعة الشوبك
المصدر:	المجلة العربية للثقافة
الناشر:	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
المؤلف الرئيسي:	الفلاحات، هاني علي
المجلد/العدد:	مج 26, ع 50
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2007
الشهر:	مارس
الصفحات:	108 - 138
رقم MD:	353812
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	الموقع الجغرافي ، الحصون ، القلاع ، اللغة العربية ، قلعة الشوبك ، الأردن ، الكتب الجغرافية ، التصميم المعماري ، ترميم الآثار
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/353812

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

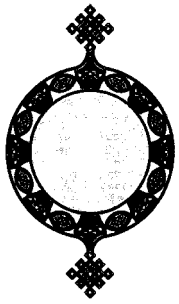

قلعة الشوبك

أ. هاني علي الفلاحات *

المقدمــة

قلعة الشوبك أو مونتريال واحدة من أهم القلاع التي ما زالت تتربع على إحدى قمم الجبال في الأردن، تتميّز اليوم بموقعها الخلاب بين قمم سلسلة جبال الشراة، وفي الماضي كان لموقعها على ملتقى طرق القوافل والحج، وما تتمتع به من الأمان عوامل جاذبة أسهمت في ظهورها وانتشار صيتها في كافة أنحاء مصر وبلاد الشام والجزيرة العربية، مما دفع الصليبيين للاستماتة في الاحتفاظ بها كسراً لشوكة العرب والمسلمين وتفريقاً لكل محاولات الوحدة العربية والإسلامية التي استهدفت طردهم من الديار الإسلامية. وبعد رحيل الصليبيين عنها أصبحت رمزاً لقوّة السلاطين المماليك والأيوبيين.

قلعة الشوبك اليوم معلمٌ تراثيّ وثقافيٌ في الأردن يزوره الأردنيون والسياح، لأنه يحكي قصة كفاح الأمة ضد استهداف هويتها ودينها، ومعلماً فنياً هندسياً غاية في الروعة والإتقان يخلّد عظمة هذه الأمة التي لن تموت.

لقد كانت الأردن عمومًا، والشوبك خصوصًا، حاضرة في الموروث الثقافي العربي والإسلامي، كما أسهمت في صنع الأحداث، وتشكّل على ثراها وجه التاريخ العربي الإسلامي في العصور الوسطى، فاستجابت جدرانها لمنجنيقات المسلمين وتهدّمت عندما كانت الغاية أكثر نبلاً من الوسيلة. وعادت تلك الجدران والأبراج ترتفع شامخة

* – مفتش آثار محافظة معان، دائرة الآثار العامة، المملكة الأردنية الهاشمية.

عندما لبست عباءتها العربية الإسلامية لتلف بها أهلها، فعادت ترحّب بقوافل الحجاج والتجار وتصدّر العلماء والقضاة والأطباء.

حظيت قلعة الشوبك في الآونة الأخيرة باهتمام متزايد على كافة الصعد رسمياً وشعبياً، ولقد تُرجم هذا الاهتمام بجملة من الاستحداثات التي من شأنها أن تجعل منها ملتقى للعديد من الاقتصاديين والمثقفين. فقد تم إنشاء مركزٍ للزوار بالقرب منها كما عززت دائرة الآثار العامة نشاطاتها في الترميم والصيانة والبحث العلمي. وتنادى أهل مدينة الشوبك ومثقّفيها إلى التطوّع للنهوض بها من خلال جمعيات ثقافية وحرفية واستثمارات سياحية تساعد على تطوير الخدمات المطلوبة من قبل الزوار العرب والأجانب إضافة إلى الأردنيين. وتقديرًا لهذه الجهود جاءت هذه الورقة لتسلّط الضوء على جملة النشاطات والجهود التي بذلت، والخطط المستقبلية.

في مفهوميْ الحصن والقلعة في اللغة العربية

حصن: حَصُنَ المكان يَحْصُنُ حصانة، فهو حَصين: منُع، وأَحْصَنَه صاحبُه وحَصَّنه. والحِصْنُ: كلُّ موضع حَصين لا يُوصَل إلى ما في جَوْفه، والجمع حُصونٌ. وحِصْنٌ حَصينٌ: من الحصانة. وحَصَّنْتُ القرية إذا بنيتَ حولَها، وتَحَصَّنَ العَدُوُّ. المِحْصَنُ: القَصرُ والحِصْنُ. وتَحصَّنَ إذا دخل الحِصْنَ واحْتَمى به. ودِرْعٌ حَصين وحَصينة: مُحْكَمَة.[1]

والقَلْعَةُ: الحِصْنُ الممتنع في جبل، وجمعها قِلاعٌ وقَلَعٌ وقِلَعٌ. قال ابن بري: غير الجوهري يقولُ القَلَعَةُ؛ بفتح اللام، الحصن في الجَبل، وجمعه قِلاعٌ وقَلَعٌ وقِلَعٌ. وأَقْلَعُوا بهذه البلاد إِقْلاعاً: بنوها فجَعَلُوها كالقَلَعةِ، وقيل: القَلْعَةُ، بسكون اللام، حِصْنٌ مشرِف، وجمعه قُلُوعٌ.[2]

من هنا فإن كلمة حصن أو كلمة قلعة في هذا البحث هما مدلولان للمسمّى نفسه وهو الشوبك، لأن النصوص المأخوذة عن بعض المصادر التاريخية العربية سمّته حصن الشوبك تارة وقلعة الشوبك أو مونتريال تارة أخرى، في حين أن الاسم المتعارف عليه في السجلات الرسمية لدى دائرة الآثار العامة الأردنية حالياً هو «قلعة الشوبك»، مما تبعه استخدام الاسم ذاته في سجلات الأراضي والمساحة الأردنية أيضا.

---

1 – إبن منظور، لسان العرب، (بيروت، 1994م)، جـ13، ص 119.

2 – المصدر السابق: جـ8، ص 290.

قلعة الشوبك جغرافياً

على قمة إحدى تلال سلسلة جبال الشراة[3]، وعلى ارتفاع 1400م فوق سطح البحر تقع قلعة الشوبك، وتبعد عن العاصمة عمان 230 كم إلى الجنوب. وتحيط بقلعة الشوبك الأثرية الأودية وعيون المياه من جميع الجهات لتحتل موقعاً إستراتيجيًا مميزًا جعلها تلعب دوراً هاماً عبر العصور التاريخية، خصوصاً الفترة الصليبية وما بعدها. وتبلغ مساحة القلعة والجبل الذي بنيت عليه 107،603 دونمات، وهي مستطيلة الشكل يبلغ طولها 175م، وعرضها 90م. وتبعد قلعة الشوبك عن معان، مركز المحافظة 40 كم، وعن البتراء، أهم المواقع التاريخية والأثرية الأردنية، 34 كم.

الشوبك في كتب الجغرافيين والرحالة العرب

لقد تعرّضت بعض المصادر العربية وكتب الرحّالة في المصادر الجغرافية إلى قلعة الشوبك من خلال إشارات بسيطة في الغالب بدون أية تفاصيل، ولكنها إشارات مهمة يمكن الاستدلال من خلالها على معلومات غاية في الأهمية، لذا فإن هذه الورقة ستبيّن بعض أهم هذه الإشارات.

ومن أبرز هذه المصادر **معجم البلدان** لياقوت الحموي[4]؛ وفيه، «الشوبك بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحّدة المفتوحة، وآخره كاف، إن كان عربياً فهو مرتجل: قلعة حصينة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك. وذكر يحيى بن علي التنوخي في تاريخه: «أن يقدور الذي ملك الفرس سار في سنة 509 م إلى بلاد ربيعة من طيء، وهي ياق والشّراة والبلقاء والجبال ووادي موسى، ونزل على حصن قديم خراب يعرف بالشوبك بقرب وادي موسى فعمّره ورتّب فيه رجاله، وبطل السفر من مصر إلى الشام بطريق البرية مع العرب بعمارة هذا الحصن»[5]

---

3 – كتلة صخرية تبدأ في الحجاز وتنتهي في فلسطين والمملكة الأردنية الهاشمية، 1800م، مرتفعاتها الطفيلة وجبل رم في الأردن. **المنجد في اللغة والأعلام**، ط27، (بيروت، 1984م). مادة: الشراة.

4 – ياقوت الحموي: 1229–1179م، مؤرخ ثقافي وجغرافي عربي، رومي الأصل، ولد بالأناضول (تركيا) اشتراه تاجر من حماه (سورية). رحل إلى إيران ثم انهزم أمام جيوش جنكيز خان وأقام بالموصل زمناً قصيراً ثم سافر إلى مصر فحلب حيث قضى بقية أيامه. له **معجم البلدان**، وهو قاموس جغرافي، ومعجم الأدباء، في تراجم رجال الأدب واللغة والأعلام.

5 – ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، (بيروت، لا ت.)، جـ3، ص 420.

وذكر ابن سعيد المغربي أن أهل الشوبك والكرك كانوا يبادلون الزبيب والزيت والزيتون بالسمك المقدّد مع أهل جزر الغول الواقعة جنوبي مدين عند فم خليج العقبة، حيث أورد أن: «جزائر الغول وهي صغار نيف على 100 جزيرة ويأوي إليها سودان عراة يتكلمون بكلام غلق ثقيل، ولهم مراكب على قدرهم وبيوت من قصب وحشيش ولا عيش لهم إلا من السمك يصيدونه ويجعلونه في ماء البحر للشمس وذلك لتمليحه، ثم ينشفونه دون ماء ويحملونه مقدّدا إلى الطور والسويس فيبيعونه لنصارى الكرك والشوبك بالزبيب والزيت والزيتون ونحو ذلك»[6].

وأوردها أبو الفداء قال: «الشوبك من الشّراة، بلد صغير كثير البساتين، وغالب ساكنيه من النصارى وهي شرقي الغور، وهي على طرف الشام من جهة الحجاز وينبع من ذيل قلعتها عينان إحداهما عن يمين القلعة والأخرى عن يسارها كالعينين للوجه وتخترقان بلدتها ومنهما شرب بساتينها وهي في وادٍ من غربي البلد وفواكهها من المشمش مفضلّة وتنقل إلى ديار مصر، وقلعتها مبنية بالحجر الأبيض وهي على تلّ مرتفع أبيض مطل على الغور من شرقية».[7]

كما وصفها ابن فضل الله العمري بقوله: «والشوبك المنسوب إليه الكرك مدينة صغيرة أكثر في البرّ دخولاً وانحرافا إلى التغريب في القبلة عنها، ذات أكواب من جداول الأنهار موضوعة، وسرر من مقاعد الأبراج مرفوعة، وفاكهة كما قال الله تعالى في الجنة: غير مقطوعة ولا ممنوعة. قلت: والشوبك فُتح وقت فتوح الكرك بعد أن دام الحصار سنتين على الكرك، وأقطعهما الملك الناصر لأخيه الملك العادل، ولم يزالا في يده حتى أعطاهما لولده الملك المعظّم عيسى؛ فصرف إليهما العناية حتى ترك الكرك مدينة تعنى بنفسها، وزادها تحصيناً وتحسيناً، وجلب إلى الشوبك غرائب الأشجار، حتى تركها تُضاهي دمشق في روائها، وتدفق مائها، وتزيد بطيب هوائها»[8].

6- إبن سعيد المغربي (علي بن موسى بن محمد)، **بسط الأرض في الطول والعرض أو الجغرافية**، تحقيق خوان فرنيط خينيس، (تطوان، 1958م)، ص 64.

7 – أبو الفداء (إسماعيل بن محمد)، **تقويم البلدان**، (باريس، 1840م)، ص 229–228.

8 – إبن فضل الله العمري، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار** (دولة المماليك الأولى) تحقيق دورويتا كرافولسكي (المركز الإسلامي للبحوث، 1986)، ص 214.

ثم ذكرها شيخ الرّبوة، قال: «مملكة كرك...ومن جنده الشوبك حصن، مدينة خصبة ولها فواكه كثيرة وعيون غزيرة».[9] ويبدو أن هذا الوصف يتطابق مع واقع الشوبك اليوم التي تشتهر بإنتاج التفاح والعديد من أصناف الفواكه، كما يتوافق مع أعداد البساتين والمصاطب الزراعية، وشبكة القنوات التي ترويها في المناطق المحيطة بالقلعة، خصوصاً الشمالية والشرقية والجنوبية.

وجاءت عند صاحب المراصد، قال: «بالفتح ثم السكون ثم الباء الموحدة وآخره كاف: قلعة حصينة في أطراف الشام، بين عمّان وأيلة قرب الكرك»[10].

أما ابن شاهين الظاهري فقد ذكر أن الشوبك جزء من المملكة الكركية، والمملكة الكركية هي مملكة بمفردها وتسمّى مآب، قال: «واستمرت الشوبك مدة بيد الكفار إلى أن قدر الله بفتحها، والشوبك مضافة إلى الكرك وهي حصينة أيضاً»[11].

وقد شابه سباهي زادة وصف أبو الفداء فقال: «بلدة صغيرة من الإقليم الثالث من الشّراة، ولها أشجار وفواكه وبساتين وغالب ساكنيه النصارى، وهي في شمال العقبة الشاقة، ولها قلعة مرتفعة، وهي على طرف الشام من جهة الحجاز، وينبع من ذيل قلعتها عينان يشرب منهما، إحداهما عن يمين القلعة والأخرى عن يسارها كالعينين للوجه، وفواكهها من المشمش وغيره، مفضلة وتنقل إلى الديار المصرية، وقلعتها مبنية بالحجر الأبيض وهي على تل مرتفع أبيض»[12].

قلعة الشوبك تاريخياً

تعتبر قلعة الشوبك من أهم القلاع التي لعبت دوراً تاريخياً مميّزًا عبر العصور والحقب التاريخية المتعاقبة وذلك بسبب موقعها، وما تشكّله من نقطة إستراتيجية متقدمة، وما

---

9 – شيخ الرّبوة محمد بن أبي طالب الدمشقي، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، (بغداد، لا. ت.)، ص 213.

10 – صفي الدين البغدادي عبد المؤمن بن عبد الحق، **مرصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق علي البجاوي، بيروت دار المعرفة، 1954، مجلد 2، ص 818

11 – غرس الدين بن شاهين الظاهري، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، تصحيح بولس راويس، (باريس، 1894م) ص 43.

12– المهدي عيد الرواضية، **الأردن في موروث الجغرافيين والرحالة العرب**، (عمان، 2002م)، ص248.

توفره من أمن وراحة للقوافل التجارية المتجهة ما بين سوريا والجزيرة العربية من جهة وبلاد الرافدين (العراق) والبحر الأحمر من جهة أخرى[13].

أما أصل هذه القلعة فهو عبارة عن برج مراقبة نبطي حيث استمرّ هذا البرج يؤدي دوره العسكري والتجاري حتى نهاية الدولة العربية النبطية (312 ق.م – 106م)، إلا أنه دمّر بعد سقوط البتراء بيد الرومان على يد تراجان عام 106م، ولم تعد هذه الأبراج مهمّة بعد تحوّل طرق التجارة عبر البحر الأحمر إلى مصر وغزة ثم إلى أوروبا.

ونتيجة لأطماع الصليبيين خلال حملاتهم على المنطقة شن بلدوين الأول[14] في الفترة من عام 1100م إلى عام 1115م أربع غزوات على المنطقة. وفي عام 509هـ/1115م قرّر إعادة بناء قلعة قديمة وبقايا آثار فأصبحت حصناً منيعاً، ولقد جاء اختيار موقع قلعة الشوبك لعدة أسباب منها:

- قربها من القدس حيث تبعد عنها مسيرة أربعة أيام؛
- توفّر القدرة الدفاعية بشكل طبيعي حيث موقعها على رأس تل محاط بأودية ومنحدرات يصعب تجاوزها.
- موقعها على الطريق التجارية ما بين مصر والشام والعراق والجزيرة العربية وفلسطين، مما يعيق إمكانية التجمع والاتحاد العربي الإسلامي لمواجهته.
- موقعها على طريق الحج الشامي، وأهميتها في السيطرة على طرق قوافل الحج.
- خصوبة أراضيها ووفرة مياهها وكثرة إنتاجها الزراعي لتلبية احتياجات الحاميات العسكرية.
- توفر مواد البناء ولوازمه من حجارة وأخشاب ومياه.[15]

ولذلك يجمع مؤرخو المملكة الصليبية على أنه بقليل من الأشخاص وبقليل من الوقت تمت عملية البناء، وهذا ما ذكره شارتير الذي واكب عملية البناء وقال إن بلدوين

13– سعد محمد، المومني، القلاع الإسلامية في الأردن: الفترة الأيوبية المملوكية، (عمان، 1988م)، ص 244.

14– حاكم الرها (1106–1098م) وقائد الحملة الصليبية الأولى، ملك القدس 1118–1100.

15– يوسف درويش، غوانمة: إمارة الكرك الأيوبية، (الكرك، 1980)، ص 64.

الأول اشتغل بنفسه في البناء مدة ثمانية عشر يوماً، فأطلق عليها اسم «الجبل الملوكي» (مونتريال)[16].

ونتيجة للأسباب ذاتها التي دعت بلدوين لاختيار هذا الموقع لبناء القلعة، تنبّه المسلمون لخطورة إعادة بناء الصليبيين لها، فقامت عدة حملات عسكرية كان من بينها الحملات الفاطمية في حوالي عام 549هـ/1155م حين برز على ساحة الأحداث في مصر الوزير الصالح طلائع بن رزيك[17] الذي أدرك أن الخلاص من الصليبيين لا يكون دون اتحاد دمشق والقاهرة. ولكن الوجود الصليبي في الشوبك وجنوب الأردن يعيق كل محاولات الاتصال والتحالف، ولذلك بدأ ابن رزيك بتوجيه نشاطاته العسكرية نحو الشوبك والكرك والأردن عموماً. ففي سنة 552هـ/1157 سيّر أول حملة، وفي رجب من السنة نفسها سيّر حملته الثانية إلى الشوبك. وقد تمكن الفاطميون من الفتك بالإفرنج وغنموا منهم الكثير، وفي السنة التالية 553هـ/1158م سيّر حملة أخرى إلى جنوب الأردن، وضيّقت الخناق على الحصون الصليبية في وادي موسى/ الوعيرة وحصن الشوبك، لذلك بادر الإفرنج في عام 554هـ/1159م لطلب الهدنة من الفاطميين بعد أن أجزلوا لهم الهدايا.[18]

أما آخر هذه الحملات فقد كانت الحملة التي قام بها صلاح الدين الأيوبي، 532–589هـ /1138م–1193م، واستدرج الصليبيين إلى سهل حِطّين، وبعث أخيه العادل لمحاصرة قلعة الشوبك، وانتصر على جموع الصليبيين في موقعة حِطّين عام 1187م. واستسلمت القلعة في شهر ربيع الأول 585هـ/نيسان من عام 1189م، وبسقوطها انتهى الوجود الصليبي في الأردن بعد حصار دام سنتين.

إهتم الأيوبيون[19] بالقلعة فعمّرها الملك المعظّم وزاد في تحصيناتها، وبعده اهتم الملك الكامل بن محمد بقلعة الشوبك فجدّد بها وزاد في عمارتها، وبعده دخلت في حكم الملك

16– محمد عدنان البخيت، **مملكة الكرك في العهد المملوكي**، (عمان، 1976م)، ص5.

17 – طلائع بن رزيك، 1102–1161م وزير الخليفة الفاطمي الفائز 1154م، استقل بأمور الدولة ولقب بالملك الصالح، اغتيل في خلافة العاضد.

18– يوسف درويش، غوانمة، ص81، 82.

19 – الأيوبيون: سلالة من السلاطين أسسها صلاح الدين الأيوبي ونسبت إلى والده أيوب بن شاذي، حكمت مصر وسورية: دمشق(1186–1260م)، حلب (1183–1260م)، واليمن (1173–1229م).

الصالح نجم الدين أيوب فاهتم بها كثيراً وعهد ولايتها إلى كل من الأمير آيبك عبد الله عز الدين أيدوم الحلي والأمير علم الدين سنجر الحصني والأمير عز الدين آيبك الزراد [20].

إنتقلت القلعة بعد ذلك إلى حكم الملك المغيث عمر، ثم انتزعها السلطان عز الدين آيبك التركماني عام 1253م. وبعد ذلك بدأ اهتمام المماليك بقلعة الشوبك، فقام الظاهر بيبرس 1260–1277م بتجديد البناء فيها ثم استولى عليها قلاوون سنة 1279م وعيّن الأمير حسام الدين نائباً فيها، وتم إعمار القلعة وبدأت القلعة تلعب دوراً اقتصاديًا كبيراً في رعايتها للقوافل بين مصر والشام وعكا[21].

وفي الفترة من سنة 1290 إلى 1293م أصدر الملك الأشرف خليل بن قلاوون[22] أوامره إلى نائبه في دمشق عز الدين آيبك الأفرم بالتوجه إليها وهدمها، وتشير بعض المخطوطات أنه عندما هدمها ابن الأفرم وجد بداخلها 4000 ختمة من القرآن الكريم محفوظة بخط مذهّب وكثير من الأسلحة وسيف كبير قيل إنه سيف الصحابي خالد بن الوليد، رضي الله عنه.[23]

ولما تسلّم مقاليد الحكم الملك المنصور حسام الأمين في سنة 1296م قام بإعادة بناء قلعة الشوبك من جديد، وهذا يبرّر وجود الكتابات العربية على واجهات الأبراج الخارجية.

ولقد تعرّضت القلعة إلى عدّة هزات أرضية نتج عنها تهدّم كثير من المباني وأسوار القلعة. وبعد موت الملك حسام الأمين نشبت الخلافات بين سلاطين المماليك في صراعهم على السلطة مما أدى إلى انتهاء الحكم المملوكي في قلعة الشوبك.

ويمكن القول إن دور قلعة الشوبك كمحرّك للأحداث السياسية والعسكرية قد تراجع بقوة بسبب انشغال مماليك مصر في الصراع على السلطة، ولذلك أهملت بلاد الشام عمومًا والشوبك خصوصًا بعد انتشار وباء الطاعون الذي تسبّب في مقتل الآلاف

–20 يوسف درويش، غوانمة، **شرق الأردن في عصر دولة المماليك الأولى**، (عمان، 1979م)، ص204.

–21 المومني، ص 252.

22 – خليل بن قلاوون الملك الأشرف: من المماليك البحريين 1290–1293م أنهى وجود الصليبيين في الشرق واسترد منهم عكا وصور وصيدا وحيفا، اغتيل في القاهرة.

–23 المومني، **المرجع السابق**، ص 252 .

وهروب أعداد كبيرة من الناس بحثاً عن النجاة. يضاف إلى كل ذلك ما خلّفه اجتياح الجراد لمنطقة الشوبك سنة 770هـ/1368م والذي أتى على كل شيء.[24]

وفي سنة 1563م دخلت القلعة تحت حكم العثمانيين في عهد السلطان سليمان القانوني 1520–1566م، حيث تعرّضت لأعمال التخريب والهدم، وتم نسفها بالديناميت في عام 1840م أثناء حملة إبراهيم باشا[25] واحتلاله لبلاد الشام. وبقيت على هذه الحال تحت حكمهم حتى بدايات القرن العشرين حيث دخلت تحت الحكم العربي الهاشمي بعيد الثورة العربية الكبرى عام 1916، وما زالت إلى يومنا هذا جزءًا من المملكة الأردنية الهاشمية، حيث أقام فيها سكان الشوبك الحاليين حتى العقد السادس من القرن الماضي. واليوم أصبحت قلعة الشوبك جزءًا من أملاك دائرة الآثار العامة الأردنية بموجب قانون الآثار الأردني، ولا يجوز لأية جهة التصرّف بها باعتبارها إرثاً ثقافياً وحضارياً للوطن.

وصف عام للقلعة ومبانيها

إنه لمن الصعب جداً للمتجوّل في أرجاء قلعة الشوبك الداخلية لأول مرة أن يتعرّف بسهولة على معالمها التي فقدت ملامحها المعمارية بسبب تكرار الهدم والبناء، وبسبب إعادة الاستخدام لمبانيها في فترات متلاحقة، حيث تنتشر البوّابات والأقواس والجدران المتهدّمة والقائمة، أقبية هنا وسراديب وأنفاق هناك، أزقة وممرّات وأرضيات مبلّطة تارة ومدكوكة تارة أخرى وسقوف وعقود وآثار تدلّ على عظمة وتباين في طرز العمارة وتنوّع في استخدام المواد المتاحة، فمرة حجارة كبيرة منحوتة ومرّة حجارة صغيرة مشذّبة وغير مشذّبة.

إن تداخل المباني بعضها مع البعض الآخر، وحالة الدمار التي أصابتها، بالإضافة إلى ما جرى لمعالمها في الفترة العثمانية عندما سكنتها القبائل العربية فغيّرت وأضافت باستخدام حجارتها المتهدّمة أصلاً، جعل الأمر صعباً في التعرّف على مخطّطها. وإن كنّا نلاحظ اليوم بقايا ثلاثة طوابق فيها، إلا أنه من الصعب معرفة المباني الداخلية التي

24 – طه، الهباهبة، الشوبك في التاريخ والوجدان الشعبي، (عمان، 1984م)، جـ1، ص58 .

25 – إبراهيم باشا: هو ابن محمد علي باشا مؤسس السلالة الخديوية في مصر، سيّره والده إلى الشام وما حولها في حملتين الأولى: 1831–1833م، والثانية: 1839–1840م.

اشتمل عليها كل طابق إذ يتوقف ذلك على إجراء عمليات تنظيف وترميم للقلعة. لذلك فإن المخطّط الذي تم إعداده ساعدنا في توثيق المعالم الواضحة، وربما نحتاج إلى مواسم حفريات طويلة للوقوف على كل تفاصيل القلعة الإنشائية وكل مرافقها خلال كافة مراحل استيطانها.

من هنا يبدو واضحاً للمشاهد الغايات من استخدام حجارة الطبزة[26] التي استخدمت في بناء الواجهات الخارجية للأبراج، وذلك لأنها عرضة لقذائف المنجنيق. فالبروز غير المنتظم في واجهة الحجر الواحد يؤدي إلى انحراف ضغط قذيفة المنجنيق مما يضعفها ويقلّل أثرها على الواجهة، كما أن أثر القذيفة القوية يأخذ جزءاً من البروز في حجر البرج مما يساعد في قدرته على تحمّل كمية تزيد أضعافاً مضاعفة من القذائف. ولقد تعرّضت القلعة عبر تاريخها إلى عدة هجمات بالمنجنيق، في حين أننا لا نجد على الإطلاق هذا النوع من الحجارة مستخدماً في أبنية القلعة الداخلية. أما الحجارة المسمسمة[27] فقد استخدمت على الأغلب في الداخل بينما انحصر استخدامها الخارجي على جدران السور المائلة. والقصد من ذلك هو منع الأعداء من تسلّقها أثناء الهجوم، مع إمكانية إعاقتهم من خلال دحرجة كتل من الحجارة أو النار أو الأتربة، إضافة إلى أنّ هذا النمط من الإنشاء أقوى بكثير لحمل الأبراج المنتشرة على طول السور الخارجي.

أسوار القلعة

تشير المصادر التاريخية إلى أنه كان لقلعة الشوبك ثلاثة أسوار متتالية، وهي:

- السور الخارجي: ويرتكز على صخر كبير تخرج منه ثلاث عيون ماء، ويبدو أن الدّمار قد أصاب هذه الأسوار مع مرور الأيام، فالسور الخارجي لم يعد قائماً منه اليوم إلا أجزاء صغيرة متقطّعة في الجهة الغربية من القلعة، في سفوح الهضاب المقابلة للقلعة وعلى حافة الوادي.
- السور الثاني: وكان مزروعاً بالقمح الذي يكفي القلعة لمدة سنة كاملة، وإن كانت قد اندثرت معالمه فوق سطح الأرض، إلا أنه يمكننا القول بأنه كان قائماً بمحاذاة

26 – حجر له بروز غير منتظم على جهته الخارجية، استخدم في بناء الأبراج لغايات منع تأثير الهجوم باستخدام المنجنيق.

27 – حجر منتظم الشكل تظهر على واجهته الخارجية الظاهرة بعد الإنشاء آثار النحت الناعم من أسنان الإزميل المستخدم، وهذا يساعد في إعطاء قراءات فنية للباحث.

البرج المربّع القائم اليوم إلى الشرق من القلعة، ويبعد عنها حوالي 75 مترًا تقريباً. ويبدو من خلال وصف سودهيم (Ludolphe de Sudheim) لمنطقة هذا السور، وزراعتها بالقمح، أنه كان يؤدي أكثر من وظيفة؛ فبالإضافة إلى الناحية الدفاعية، كان يحول دون انجراف تربة الجبل الذي تقوم عليه القلعة.

- السور الداخلي: وهو السور الرئيسي الذي يبدو الآن للقلعة والذي ترتكز عليه الأبراج الظاهرة حالياً، فهو السور الدفاعي للقلعة، ويعتبر من أكثر معالم القلعة وضوحاً إلى اليوم، خصوصًا بعد قيام دائرة الآثار العامة بترميم معظم أجزائه. يدعم هذا السور عدد من الأبراج المربّعة والمستطيلة والدائرية، تزيّنها كتابات عربية بالخط النسخي من القرن الرابع عشر، ولا توجد أية إشارة أو أثر للصليبيين في هذا السور.

مدخل القلعة

لقد أجمع رحالة القرن التاسع عشر الذين زاروا قلعة الشوبك على أنه يمكن الصعود إلى القلعة الواقعة على قمة الجبل من خلال درج غليظ نحت في الصخر، وقد تمت تغطيته بالطريق المعبّد التي توصل للقلعة اليوم. وللقلعة مدخل واحد في الجهة الشمالية الشرقية متعرّج من النوع المنكسر أو غير المباشر، ينتهي عند القلعة ببوّابة يعلوها قوس، تشبه أبواب النصر، وصنع لها باب حديدي كان قد عبر منه أولئك الرحّالة إلى داخل القلعة. ويضيف برونو (Bruno) نقلا عن أيربي (Irby) ومانجلسز (Mangles) أنهم شاهدوا هذا الباب سنة 1818م وأن تفاصيل هندسة هذا الباب تذكرهم بهندسة البنايات العربية في القرن الرابع عشر. وقد قامت دائرة الآثار العامة بإعادة ترميمها، مستعملة حجارة من حجارة القلعة. ويبلغ عرض هذه البوابة 239 سم وارتفاعها 319 سم، وهي على شكل قوس مؤلف من أربعة عشر مدماكًا يجمعها حجر الغلق (Key Stone)، وقد ارتكز القوس في كل طرف من طرفيه على ستة مداميك حجرية.

البرج رقم (1)

هذا البرج مستطيل تقريباً، يبلغ طول ضلعه الجنوبي ثمانية أمتار وضلعه الشرقي 20.5 مترًا، والشمالي 11 مترًا، وتبرز في أعلى هذه المداميك من الجهة الجنوبية سبعة

ركب أو طنف (Corbel) أي مساند حجرية (أكباش)[28]، في حين وصل عددها في الجهة الشرقية إلى خمسة عشر. وهذه الأكباش تحمل فوقها شرفات (سقاطات)، كانت تستخدم لصب المحروقات على رؤوس الأعداء في حال اقترابهم من الأسوار. حجارة هذا البرج من النوع الطبزة المزمول، ذات إطار ناعم في الزوايا بعرض 4 سم ومنحوت بزاوية قائمة. والحجارة من حيث الحجم نوعان: كبيرة يصل طول الحجر الواحد منها إلى متر ونصف وبارتفاع يبلغ حوالي 60 سم، تعلوها حجارة أصغر حجماً يبلغ متوسط طول الحجر منها 40 سم بارتفاع حوالي 60 سم، وهي من النوع الصلب ذي اللون الجيري الأصفر. ونشاهد في الجدار الجنوبي لهذا البرج ثلاث طلاقات طويلة – فتحات رماية – يستدلّ من خلال تعاقبها على وجود ثلاثة طوابق في هذا البرج، وهي غير متعامدة في ترتيبها، بل وزّعت في الجدار بحيث تغطّي من خلال قوس الرمي الذي تشكّله كامل الأرض التي تشرف عليها حول البرج. ويمتد طول الطلاقة على ارتفاع مدماكين أي حوالي 120 سم، أما عرضها من الخارج فهو ما بين 10 إلى 12 سم. وفي المدماك التاسع من هذا الجدار من الأعلى يوجد شريط كتابي نحت على طول المدماك حتى الجزء المرمّم نصه: «لاجين خلد الله ملكه وأدام أيامه وذلك في سنة سبع وتسعين وستمائة»، وهذا التاريخ يعادل السنة 1308م.

أما الجدار الشرقي من هذا البرج فيوجد في مستوى الطابق الأول منه طلاقتان، حيث بلغ طول ارتفاع الواحدة ثلاثة مداميك، أي حوالي 180 سم × 15سم. وفي الطابق الثاني توجد ثلاث طلاقات 120 سم × 12 سم، وفي الطابق الثالث توجد اثنتان طويلتان في الوسط واثنتان أوسع على الجانبين تبلغ مساحة الواحدة 120 سم × 80 سم. وهذه الطلاقات ليست مرتبة بعضها فوق بعض، بل وزّعت في الجدار لتغطي مجال رؤيا واسعًا على الأرض أسفل البرج، ونشاهد شريطاً كتابياً منحوتاً على الحجر نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم لا اله إلا الله محمد رسول الله إن الدين عند الله الإسلام أمر بإنشاء هذه القلعة وتجديدها مولانا السلطان الأعظم الملك المنصور العالم العادل المجاهد المأيد (المؤيد) المظفر حسام الدنيا والدين المنصور أبوالفتح لاجين».

---

28 – نظام إنشائي يمكّن المدافعين في القلاع من قذف كتل (جرار) نارية وزيوت حارقة مشتعلة على الأعداء دون أن يتأذّى المدافع، وبحيث لا يكون عرضة لقذائف وسهام المهاجمين، وعادة ما تكون الأكباش في أعلى الأبراج.

أما في الجدار الشمالي، فنرى فتحتيْ رماية على مستوى الطابق الثاني من البرج، وفوق الطلاقتين يوجد نقش على حجر واحد، نصه: «ونمد لونشا وأعانه بمحمد خاتم». وبعد هذا النص بحجرين فقط نجد نقشاً على حجر ثالث، نصه: «الحق أمانة». وبين الطلاقتين نقرأ على أحد الحجارة كلمة «الله». وفوق النقش المكتوب فيه «ونمد لونشا...» يوجد حجر نقش عليه اسم «بيبرس بن (عبد) الله».

في هذا البرج من الداخل وفي الممرّ بين الغرفتين يوجد باب داخلي يؤدّي إلى غرفة صغيرة في منتصف الواجهة الشرقية بها فتحة رماية واحدة نحو الشرق طول هذه الغرفة 320 سم وعرضها 160 سم، وربما خصّصت هذه الغرفة للقائد، حيث تتميّز بإشرافها على مساحة كبيرة من الأرض شرق القلعة، وتبلغ مساحة الغرف الثلاثة حوالي 15م× 9م، وسمك الجدران من خلال الطلاقات حوالي 185 سم. أما الطابق الثاني فعدد غرفه ثلاثة مع موزع بينها، ونظامها نفس نظام الطابق الأول باستثناء طلاقات الواجهة الشرقية فهي اثنتان طويلتان، ولهذه الطلاقات مصاطب ترتفع عن مستوى أرضية الغرف بواقع 50 – 60 سم، في حين اختفت مصاطب طلاقات الطابق الثاني عندما قام أهالي الشوبك في الستينيات برفع أرضيات الغرف الثلاث بالرمل والإسمنت إلى مستوى مصاطب الطلاقات.

البرج رقم (2)

البرج الثاني يلي الأول من جهة الشمال وهو مستطيل الشكل تم ترميمه من قبل دائرة الآثار العامة ويختلف حجم حجارته عن حجم الحجارة في البرج رقم (1)، فمتوسط ارتفاع حجم الحجر يبلغ 30 سم طول × 25 سم، وهي من النوع الطبزة الخفيفة، وهو مسمّط من الخارج، لا فتحات فيه ويفصل ما بين البرجين 1 ,2 سور بطول 19 مترًا تم ترميمه لاحقاً.

البرج رقم (3)

يقع بعد الزاوية الشمالية للبرج رقم (2) ويمتد باتجاه الشمال لمسافة 26,5 مترًا. حجارته من نوع الطبزة، لكنها في نحتها أقل جمالاً من تلك الموجودة في الأبراج الأخرى. وبعد هذا الجدار يوجد برج مربّع رقم (3) تبلغ أطوال أضلاعه 4,80 م، 9,30 و3,70 م ومتوسط حجم الحجر 15 سم طولاً بارتفاع 26 سم، ولا يوجد في واجهة هذا البرج أية فتحات رماية.

يلي هذا البرج جدار طوله 11,40م، يصل ما بين البرجين الثالث والرابع ويوجد جدار آخر مشابه له ومبني بنفس النظام يصل ما بين البرجين الرابع والخامس. ويبلغ طول هذا الجدار 14.00م استعملت فيه حجارة الطبزة بدلاً من المسمسم، وفي الأغلب أن هذا الجدار أعيدت عمارته في المراحل التي أعقبت عمليات الهدم التي تعرّضت لها القلعة.

البرج الدائري رقم (4)

يبلغ محيط واجهته الأمامية 5. 13 مترًا من حجر مدقوق ومشذّب من نوع الطبزة المنحوتة على زاوية 90° درجة ولها شريط منحوت ناعم بعرض 3 سم في الأطراف الأربعة لكل حجر، لونها رمادي ومعظمها من القطع الكبيرة، يصل طول الحجر إلى مترين بارتفاع 60 سم، أما الصغيرة فإن متوسط طولها يتراوح ما بين 40 و50 سم. كما توجد أربع طلاقات طويلة حجمها 120 سم × 10 سم، وتبرز ثمانية ركب حجرية (أكباش)، أربعة من كل جهة، تصبّ من خلال فتحاتها المواد الحارقة على كل من يقترب من أسوار القلعة، وعلى طول واجهة البرج يوجد شريط كتابي جميل بالخط النسخي نصّه: «(لا إله) إلا الله محمد رسول الله، إن الدين عند الله الإسلام، أمر بإنشاء هذه القلعة وتجديدها مولانا السلطان الملك المنصور العالم العادل المجاهد المؤيد المنصور حسام الدنيا والدين لاجين وذلك في سنة سبع وتسعين وستمائة». كما يوجد في الجهة الغربية نقش على حجر واحد، نصه: «المجاهد في سبيل الله».

أما من الداخل فيوجد على مدخله درج مكوّن من 23 درجة عرض الواحدة 80 سم، مليء في نهايته بالرّدم يؤدي إلى الطابق الأول في البرج، ومدخله يفتح إلى الشرق. أما من الغرب فقد سقّف بالحجارة التي صفّت واحدة بعد الأخرى، والنزول والصعود منه غير مريح لشدة الانحدار في تصميمه.

ويمكن الدخول إلى الطابق الثاني من البرج من باب يقع في الجهة الغربية منه يفتح باتجاه الجنوب، كما يوجد باب آخر إلى الشرق لكنه مغلق الآن. وإذا دخلنا من الباب الغربي نشاهد قاعة كبيرة تتوزّع فيها أربع حنيات وفي كل حنية طلاقة، تفتح جميعاً إلى الشمال، ولها مصاطب ترتفع عن مستوى أرضية القاعة بواقع 60 سم، وهذا الارتفاع جعل إمكانية إصابة الجالس في القاعة بالسهام أمراً صعباً. وأما بخصوص الطابق الثالث من البرج فإن أجزاءه مدمّرة، ولكن من خلال الملامح العامة يمكننا القول إنه كان على غرار الطابق الثاني من حيث الإنشاء والتصميم. كما أن هذا البرج كان مهماً لأنه كان

يتولّى مهمّة منع الأعداء من الوصول إلى بداية الطريق المؤدية إلى البوّابة الرئيسة للقلعة، ولذلك فإن تصميمه جاء متوافقاً مع كثافة المقاومة المطلوبة منه.

البرج رقم (5)

يعتبر هذا البرج من أكبر الأبراج في القلعة، ويعتقد أنه كان سوقاً تجارية في أوقات السلم، وهو على شكل مستطيل يبلغ طول ضلعه الغربي 44,33 م، في حين أن طول كل ضلع من الضلعين الشمالي والجنوبي 10,20 أمتار، ولا توجد أية طلاقات في الجدار الشمالي، وحجارته من النوع الطبزة، ذات اللون الرمادي وهو مطابق في تصميمه للجدار الجنوبي. أما الجدار الغربي لهذا البرج فإنه يحتوي على نوعين من الحجارة، في الجهة الشمالية منه حجارة طباشيرية ذات لون أصفر من النوع الطبزة، أما في الجهة الجنوبية فإن لون الحجارة رمادي ومن النوع الصلب الذي نحت على نظام الطبزة، وهي في الغالب أكبر حجماً من النوع الأول. وربما كان هذا البرج في الأصل قبل تجديده يمتد في طوله إلى 22 م، ثم جرت عملية توسيع وتكبير له لمسافة 22 مترًا أخرى، فاستفاد البناء من الحجارة القديمة الصفراء التي أضيف عليها وبني فوقها بحجارة النوعية الثانية ذات اللون الرمادي، وتبرز في أعلى البرج أربع ركب حجرية (أكباش).

يتضح من خلال الطلاقات المتبقية القائمة في الجدار الغربي أنه يتألّف من طابقين، حيث توجد فتحتا رماية في أقصى الشمال وأقصى الجنوب أطوال الواحدة 120 سم × 10 سم تقريباً، كما نشاهد سبع فتحات رماية من نفس نوع الفتحتين السابقتين وإن كانت المسافة بين الواحدة والأخرى متشابهة، وتبلغ حوالي خمسة أمتار، وتغطّي من حيث قوس الرمي سفح الجبل الغربي المقابل للقلعة، كما تغطي أيضاً مع الفتحتين السفليتين الوادي وسفح الجبل الذي تقوم عليه القلعة. ونشاهد نقشاً نحت على مدماكين من الحجر المسمسم نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم أمر بإنشاء هذه القلعة وتجديدها السلطان الملك المنصور حسام... لا (جين) ...»

وفي أسفل الطلاقة[29] الشمالية من الطابق الأول حجر نحتت عليه كلمة «المعظم» وبين الطلاقتين الجنوبيتين وفي المدماك الخامس والعشرين نقرأ على أحد الحجارة اسم «محمد»، كما نقرأ على بعض الحجارة عبارات «العرب والعجم» و»الرحيم».

29 – هي فتحة الرماية والتي تصمم على واجهات الأبراج الدفاعية وهي ضيقه من الخارج عرضها بين 10 و15سم، وارتفاعها يعتمد على عدد فتحات الرماية في البرج، وهي واسعة من الداخل لكي تزيد من مساحة الرؤيا للمدافع وتسهّل حركته للمقاومة والدفاع.

يتألّف الطابق الأول لهذا البرج من الداخل من غرفتين، واحدة في الشمال والأخرى في الجنوب يصل بينهما ممرّ أو موزّع، وباب الغرفة الشمالية يفتح باتجاه الشمال. وفي صدر الحنية الشمالية طلاقة مغلقة أما الحنية الغربية ففيها طلاقة واحدة مفتوحة ولكل طلاقة منهما مصطبة ترتفع عن أرضية الغرفة حوالي 60 سم. وقد أضيفت في الجدار الشرقي للبرج أنصاف أقواس ارتكزت على جدار في الجهة الشرقية نتج عنها ممرّ عرضه متران تقريباً وطوله حوالي أربعين متراً وقد أقيم فوق هذا الممرّ طابق آخر من جزأين. حجارة أنصاف الأقواس والطابق الثاني فوقها تختلف في لونها وطريقة نحتها عن حجارة الطابق الأول من البرج، فهي كلسية بيضاء منحوتة بشكل ناعم «مسمسم» في حين أن حجارة الطابق الأول سوداء صلبة منحوتة، إما بشكل ناعم أو طبزة.

أما الطابق الثاني من هذا البرج فيتألّف من أربع غرف يربطها أيضاً ممرّ، وقد ارتكز سقفها على عقود متداخلة بعضها مع البعض، فيها سبع فتحات رماية باتجاه الغرب على طول واجهة البرج الغربية.

البرج رقم (6)

هذا البرج مستطيل تقريباً تبلغ أطوال أضلاعه 4,7 م × 50,2 م × 2,20 م، وقد رمّمت دائرة الآثار بعضًا من مداميكه وليس فيها طلاقات أو نقوش. ويلي هذا البرج جدار طوله 21 م حيث نرى بضعة حجارة من النوع المسمسم ذات الحجم الكبير، وقد بنيت بشكل مائل للداخل.

البرج رقم (7)

بعد البرج المستطيل رقم (6) يوجد البرج الدائري رقم (7)، إلا أن طراز حجارة هذا البرج تختلف عن الحجارة التي بنيت بها الأبراج الأخرى فقد جاءت صغيرة الحجم. وبدلا من نحت إطار ناعم لحجر الطبزة فإن الإطار هنا جاء خشنًا ومليئاً بالثقوب الصغيرة، يبلغ عرض واجهته الأمامية 8,2 م، وهو ليس كامل الاستدارة نتيجة لاستعمال حجارة أخرى غير حجارته الأصلية في الترميم، ولا يوجد فيه طلاقات أو نقوش، وبعد هذا البرج يوجد جدار على غرار الجدار الفاصل بين البرجين (6 و7).

البرج رقم (8)

البرج رقم (8) وشكله تقريباً مربّع مبنيّ على واجهة السور الغربية، يبلغ طول أضلاعه حوالي 9 م × 2 م وهو مرمّم ولا توجد فيه نقوش أو طلاقات.

البرج رقم (9)

يقع في الزاوية الجنوبية الغربية للقلعة ويعتبر من أحسن النقاط في القلعة، حجارته من النوع الطبزة الصغيرة كلسية، متوسط طول الحجر نصف متر وبارتفاع 45 سم، يرتفع جداره الشمالي والغربي حوالي 25 م، ولم يظهر هذا الجدار على استقامة واحدة بل جاء منكسراً، إذ يمتد من الشرق إلى الغرب بطول 12 مترًا، ثم ينجرف باتجاه الشمال مسافة مترين، ثم يعود فيتجه نحو الغرب ولمسافة حوالي عشرين متراً. وفي الجزء الأول الممتد لمسافة 12 مترًا توجد طلاقتان، أما في الجزء الآخر الممتد لعشرين متراً فتوجد بقايا طابقين، وفي كل طابق ثلاث طلاقات طولية يبلغ حجمها 140 سم × 10 سم جاءت متعامدة بعضها فوق بعض على خلاف نظام أبراج القلعة الأخرى، إذ وزعت فيها الطلاقات بما يتناسب وتغطية المنطقة التي يشرف عليها.

أقيم في الزاوية الجنوبية الغربية لهذا البرج جدار استنادي يبدو أنه أضيف إلى البرج في فترة لاحقة لعدم تداخل مداميكه مع مداميك البرج، حجارته جاءت أصغر حجماً من حجارة البرج، وقد أصبحت مداميكه مائلة للداخل فشكّلت جداراً داعماً للبناء. ويحتوي الجدار الجنوبي منه على أربع طلاقات بمستوى الطابق الأول من البرج. بعد هذا البرج وباتجاه الشرق توجد أكوام من الحجارة التي سقطت من مبنى القلعة الرئيسي فتم تجميعها وبناء قسم منها على شكل جدران إستنادية للحيلولة دون وصول أية حجارة قد تسقط من سطح القلعة باتجاه الوادي. ولا تبدو من هذه الجهة أية معالم واضحة للقلعة الأساسية، باستثناء أحد الجدران، إذ نشاهد فيه ثلاث طلاقات، كونها حجارة هشة ليس فيها أي فنّ أو بينها أي تناسق.

دار الحكم أو القيادة

تقع دار الحكم في الجزء الشمالي من القلعة، إلا أنها من أبرز معالم القلعة وضوحاً ولفتاً للنظر. ولئن كان مستوى أرضيتها منخفضًا بالنسبة للقلعة عموماً غير أنها تمتاز بالعقود العالية، وبالشكل المستطيل، إذ تبلغ أطوال أضلاعها 16م طولاً × 11م عرضاً من الداخل. وتتألّف الدار من ثلاثة أروقة بينها دعائم منتظمة بحيث تفصل كل بهو عن الآخر دعامتان، مساحة الدعامة الواحدة 120 سم × 120 سم، كما يوجد مدخلان لها من الشمال والجنوب، المدخل الشمالي مفتوح في حين أن المدخل الجنوبي مليء بالردم. ويوجد في الجهة الشمالية من الخارج ممرّ ضيق على طول القاعة يؤدّي إليها من خلال

الأبواب المفتوحة عليها وعددها ثلاثة أبواب. أما من الجنوب فإن الردم الناتج عن انهيار بعض المباني الملاصقة للقاعة قد غطّى معالمها الخارجية، وكذلك الحال من الجهتين الغربية والشرقية.

لقد كان الاعتقاد السائد لفترة طويلة بأن هذا البناء عبارة عن مسجد، ولكنّي أرى أن هذا الاعتقاد خاطئٌ للأسباب التالية:

- هذا البناء جزء من مباني القلعة الأساسية التي تتميّز بدرجة عالية من الإتقان؛
- هذا البناء تتوفر فيه اعتبارات الأمن بشكل واضح، فجدران الجزء السفلي الذي ينخفض عن مستوى سطح الأرض بالنسبة للقلعة عريضة، وسقفه يحمل أعمدة مربّعة مبنية من الحجارة الضخمة تعلوها أقواس متقنة تساعد في حمل الجدران الضخمة العالية. يتوسّط هذا البناء مجمّع إنشائي مهدّم ربما كان مساكن للقائد ومساعديه، وربما كان هذا الجزء من القلعة هو الذي استهدف في عملية التدمير الذي تعرّضت له القلعة على يد ابن الأفرم (1293–1290م) بناءً على أمر الملك الأشرف خليل بن قلاوون باعتبار أنه رمز السلطة على القلعة في الفترة الصليبية[30]؛
- إن هذا البناء يقع في الجزء الشمالي من القلعة وهو الأبعد نسبياً عن البوّابة الرئيسية في حال أمكن اختراقها، وبالقرب منه وعلى مدخل البرج الثالث يوجد درج منحوت في الصخر لا نعرف إلى أين يؤدي وربما كان مهرباً، كما يوجد ممرّ على شكل قبْوٍ لا نعرف إلى أين يؤدي أيضا وربما كان للتضليل أو هو مهرب آخر؛
- بالقرب من مدخل هذا المجمّع يوجد حمّام على طراز الحمّامات الرومانية وهو جزء من مرافق البناء الأصلية للقلعة، فهو حمّام صليبي على الأرجح ويقع بين الأبنية العائدة لخاصة سكان القلعة أو قادتها؛
- إن اتجاه ما يعتقد أنه محراب الجامع غير صحيح يتبين إنه ينحرف عن القبلة، باستخدامها التقنيات الحديثة لتحديد القبلة؛
- إن هذا البناء وآثار الردم لا تظهر أية بقايا لمئذنة إذا كان فعلاً مصمّماً في الأصل ليكون مسجداً أيّوبياً وعلى طراز المدارس السلجوقية كما يعتقد البعض.

30– المومني، ص 252.

إن هذه المبرّرات كلها لا تمنع أن يكون هذا المكان قد استخدم في الفترات الإسلامية استخداماً آخر، مع ضرورة الأخذ بعين الاعتبار أن القلعة أصلاً لم تكن إسلامية في تخطيطها ومرافقها.

الكنيسة

إن اتجاه هذه الكنيسة به انحراف عن الوضع الطبيعي للكنائس، إذ تأخذ اتجاه شمال شرق وجنوب غرب، وقد أملى هذا الوضع ارتكاز جدار الكنيسة على سور القلعة في الجهة الجنوبية الشرقية، كما أن للكنيسة مدخلين في الجهة الجنوبية الغربية؛ مدخل رئيسي عرضه 120 سم، وارتفاعه غير واضح بسبب تهدم بعض أجزائه، وأما المدخل الثاني فهو جانبي وعرضه 90 سم وارتفاعه 190 سم. يؤدي الباب الرئيسي إلى صحن الكنيسة الذي يبلغ طوله 12م وعرضه 5.6م. أرضية الكنيسة مبلطة بالحجارة، ترتفع في جداريها الشرقي والغربي تسعة مداميك هشة مبنية بالطين، وبعد هذه المداميك يبدأ تكوير قبو الكنيسة وهو نصف برميلي، ويساعد في حمل هذا القبو قنطرة في منتصف الصحن. ويبدو أن هذه الكنيسة هي الأولى التي بناها الصليبيون عندما شرعوا في إنشاء القلعة، فهي بمساحتها تتلاءم مع العدد القليل الذي قام بعملية البناء في البداية كما أشار إلى ذلك مؤرّخو المملكة الصليبية.

وفي المنطقة الواقعة ما بين الكنيسة المعروفة والنفق المكتشف مؤخراً في بداية 2005 تم اكتشاف كنيسة أخرى صغيرة قياساتها 2,5م × 3,0م، ويبدو أنها كانت مستخدمة من قبل الآهلين حديثاً، لأن أرضيّتها كانت مخلوطة بالتبن (القش). كما توجد آثار دخان على جدرانها الداخلية وسقفها الذي يشكّل قبوًا على نظام الأقبية البرميلية. وبسبب وجودها تحت طبقة من الأتربة تزيد عن متر واحد، فقد تسببت الأملاح في تآكل حجارة الجدران من الداخل. وللكنيسة محراب صغير يتناسب ومساحتها على واجهتها الشرقية، كما يلاحظ وجود فتحة على يمين المحراب على الواجهة الشرقية مغلقة في فترة لاحقة بجدار خارجي أضيف إلى جدار الكنيسة من الخارج لتصبح الفتحة كوة غير نافذة، أو ما يشابه الحنية[31] قياساتها 0,60 م × 0,40 م.

31 – كوّة في الجدار من الداخل؛ غير نافذة إذا كانت موضع لتمثال أو سراج، ونافذة إلى الخارج إذا كانت فتحة رماية كما في الأسوار وأبراج الحصون.

الحمام

توجد إلى الجنوب من قاعة الحكم مبان مدمّرة في معظم أجزائها، ويصعب التعرّف على الغاية التي وجدت من أجلها، لعدم وضوح مخطّطاتها الأصلية، ومن بين هذه المباني يوجد جدار مميّز مبني من الطوب الأحمر المشوي الذي يعتبر موقد تسخين المياه والحمام. كما يوجد داخل إحدى الغرف المدمّرة بقايا أنبوب من الفخار في الجزء الأعلى للجدار الغربي ربما استخدم لتوصيل الماء الساخن والبخار للحمام. أما أرضية الحمّام فهي مبلّطة ببلاط حجري متوسط الحجم مصقول ويوجد على الأرضية جرن حجري وهو من مرافق حمّامات البخار المعروفة، وتحت بلاط الحمام صمّمت قنوات لتصريف المياه.

السوق

تقع السوق جنوب قاعة الحكم على طول شارع يمتدّ حتى الزاوية الشرقية للبرج رقم (9)، ويبلغ عرض هذا الشارع حوالي أربعة أمتار تقوم على جانبيه بقايا العديد من الغرف (دكاكين) متماثلة في الجدران والواجهات الحجرية والأبواب والأقواس والشبابيك وبقايا القناطر التي تحمل السقوف. وربّما كان هذا الشارع هو السوق التي كانت قوافل الحج الشامي تتزوّد منها بالأطعمة والفواكه التي كانت تنتجها بساتين قلعة الشوبك في الأودية المحيطة، وتخترق القلعة هذه السوق من الجنوب وحتى الشمال تقريباً.

المحكمة

ظلّ الاعتقاد السائد أن هذا المبنى الذي يتشكّل من طابقين هو عبارة عن كنيسة، وجاء هذا التفسير لسببين، الأول هو أن الطابق الثاني على درجة من الإتقان تضاهي مبنى دار الحكم أو القيادة، والذي فسّر بأنه محكمة، والسبب الثاني هو أن عتبة أحد المداخل الفرعية عليها صليب.

ونعتقد أن كلا السببين غير مقنع في ظلّ الحقائق التالية:

- بعد أن بيّنا اعتقادنا الجازم بأن ذلك المبنى لا يمكن أن يكون محكمة والأرجح أنه دار للحكم والقيادة، أصبح من الضروري إيجاد تفسير لهذا المبنى يتناسب مع واقعه الإنشائي وتصميمه.
- هذا المبنى ومبنى الكنيسة هما من الأجزاء الأساسية للقلعة في الفترة الصليبية، ولا اعتقد أن هنالك مبرراً لإنشاء كنيستين في الفترة نفسها تبعدان الواحدة عن الأخرى عدة أمتار؛

- هذا المبنى يفتقر إلى وجود محراب، مع أن الواجهة الشرقية للمبنى غير موجودة، فهذا ليس مبرّراً للاعتقاد بوجوده على سبيل الجزم؛
- كما أن هذا المبنى والذي تتّضح معالمه الداخلية يفتقر إلى تصميم الكنائس التقليدي من أروقة وصحن ومكان المعمودية (التعميد).

أما ما يعزز اعتقادنا بأنه محكمة فيأتي لأسباب عدة منها:

- أن المبنى من الناحية الإنشائية على درجة من الإتقان يطلّ على الجهة الشرقية للقلعة ويشرف مباشرة على البوابة الرئيسية لها، وبالتالي فهو مبنى رسمي.
- أن هذا المبنى مكوّن من طابقين الأول عبارة عن أقبية ربما كانت زنزانات أو سجونًا وفي أرضية هذه الأقبية فتحات تؤدّي إلى غرف مغلقة فارغة، أعتقد أنها كانت زنزانات تحت الأرض، لأن فكرة استخدام هذه التجاويف المغلقة للمياه مستبعد جداً في ظلّ حقيقة وفرة المياه من نبع في أسفل الجبل الذي تقبع فوقه القلعة. كما أنه لا يوجد قنوات تقود المياه إلى هذه الغرف الأرضية من المناطق المحيطة إذا افترضنا أنها خزّانات لجمع مياه الأمطار، وهذا غير منطقي.

نبع الماء

عند بداية شارع السوق من الجهة الجنوبية يوجد مدخل قبو يؤدي للأسفل نزولاً عبر درج متعرّج يصل إلى أسفل الجبل الذي أقيمت عليه القلعة، عدد درجاته 360 درجة. وفي نهاية الدرج على عمق حوالي 150 مترًا يوجد نبع ماء كانت تتزوّد منه القلعة بالمياه خصوصاً أثناء الحصار، وهذا يفسّر بقوّة فشل عملية الحصار التي قام بها العادل لمدة سنتين كما أسلفنا.

يعتبر هذا الدرج من معالم القلعة الرئيسية، وقد تم تنظيفه حديثاً من قبل دائرة الآثار العامة، ورغم أن معالم الدرج متآكلة إلا أن أعدادًا كبيرة من زوّار القلعة ينزلونه لما فيه من إثارة متميزة.

أنواع الحجارة المستعملة

لقد استعملت في بناء القلعة عدة أنواع من الحجارة منها الحجارة الكلسية البيضاء ومنها الحجارة الكلسية الصفراء، وهذه نوعان، منها الصلب ومنها الطري، كما استعملت أيضاً حجارة بازيلتية مائلة إلى اللون الأسود (صوان). إلا أن أكثر أنواع

الحجارة استعمالاً هي الحجارة الرمادية الصلبة، وهذه مميّزة في طريقة نحتها وحجمها، ومنها تم بناء معظم السور والأبراج في القلعة، كما شيّدت بها كثير من الأبنية داخل القلعة، خصوصًا تلك القائمة بقاياها حتى الآن في الجهة الغربية من القلعة. أما عن المكان الذي أخذت منه هذه الحجارة، فيعتقد بأن الحجارة الكلسية اقتطعت من المنطقة الواقعة شرق القلعة لتشابه نوعية الحجر، أما الحجارة الرمادية، فيظنّ أنها من مقلع قائم غرب القلعة على بعد كيلومتر واحد منها.

دائرة الآثار العامة ووزارة السياحة

وانطلاقا من الأهمية التاريخية والأثرية التي لعبتها وتلعبها هذه القلعة، قامت دائرة الآثار العامة بسلسلة من أعمال الصيانة والترميم، وقد تركّزت على المباني الداخلية للقلعة ومن أهمّها الإيوان، وتمّ ترميم وتثبيت الأقواس ومداخل الأبنية، بالإضافة إلى ترميم أجزاء من الكنيسة الأولى والثانية، وتنظيف الأقبية والسوق الغربية والأجزاء الداخلية من الأبراج المحيطة بالقلعة. ولكي تلقى هذه القلعة الهامة المزيد من الترميمات والإصلاحات التي كانت بأمسّ الحاجة إليها، قامت دائرة الآثار العامة في عام 1995 بتوقيع اتفاقية مع سلطة المصادر الطبيعية تضمّنت إعداد الدراسات وإجراء الترميمات اللازمة لعدد من المعالم الرئيسية في قلعة الشوبك تحت إشراف دائرة الآثار العامة، حيث تم الانتهاء من بناء وترميم المنحدر الواقع أسفل البرج الجنوبي، وتثبيت وترميم أقواس السور الغربي، وإعادة تثبيت البرج الشمالي شبه الدائري، بالإضافة إلى ترميم العديد من الغرف الداخلية الموجودة في الأبراج المحيطة بالقلعة حيث تستمرّ أعمال الترميم هذه على مدار العام.

ولأهمية قلعة الشوبك وتميّز موقعها والدور الهام الذي لعبته في تاريخ الأردن خصوصاً الفترة الصليبية والمملوكية بالإضافة إلى موقعها على الطريق الرئيس المؤدي إلى مدينة البتراء، فقد أولت دائرة الآثار العامة هذه القلعة اهتماماً خاصاً تمثّل في تخصيص مبلغ 30 ألف دينار سنوياً [45 ألف دولار] منذ عام 1995 لتمويل مشروع صيانة وترميم للمعالم التي تهددها عوامل الضعف والتآكل والتعرية. وقد أسهم هذا المشروع في الحفاظ على أهم الملامح المعمارية والعناصر الزخرفية، كما أسهم في إظهار الموقع بصورة رائعة لم تفقده قيمته التاريخية والثقافية، بل لقد ساعد ذلك على تقديم الموقع للزوّار بصورة جعلته مدرجاً على الخارطة السياحية الوطنية، وأصبحت المكاتب السياحية

تستقدم مجموعات الزوّار لهذا المعلم كجزء من برنامج الطريق الملوكي الذي يبدأ بمادبا مروراً بالكرك والشوبك ثم البتراء.

إحصاءات زوّار الشوبك لعشر سنوات

ونظراً لهذا الاهتمام المتزايد للموقع بدأت وزارة السياحة ببناء مركز زوّار عند قلعة الشوبك لتوفير الخدمات الأساسية للزوّار كجزء من برنامج تأهيل عدد جديد من المواقع الأثرية والتاريخية، وقد انتهى العمل به في حزيران 2005، حيث يتم الآن تقديم الموقع في هذا المركز من قبل مختصّين من دائرة الآثار العامة وأدلاّء محليّين تم تأهيلهم لهذه الغاية.

الحفريات والمسوحات الأثرية

لقد كانت قلعة الشوبك وموقعها من أهم العوامل الجاذبة للعديد من البعثات الأثرية الأجنبية والمحليّة، ولذلك أجري مسح للمنطقة بأكملها من قبل عدّة بعثات أثرية، مما أدّى إلى اكتشاف مئات المواقع الأثرية حول القلعة والتي كانت ترتبط تاريخياً بالقلعة بصورة ما.

وتتشارك دائرة الآثار العامة في هذه المهام الاستكشافية والبحثية مع البعثات الأجنبية بموجب اتفاقيات علمية عقدت مع تلك الجهات، كما يوجد مع كل بعثة أجنبية مندوب أو أكثر عن دائرة الآثار العامة.

ومن أبرز هذه البعثات:

البعثة الإيطالية من جامعة فلورنسا

يترأس هذه البعثة البروفيسور جويدو فانيني (GUIDO VANINI) الذي بدأ العمل في مناطق جنوب الأردن منذ ثمانينيات القرن الماضي، حيث اهتمت البعثة ابتداءً بقلعة الوعيرة الواقعة على الطرف الشرقي لمدينة البتراء الأثرية وقلعة الحبيس في وسط مدينة البتراء. ولأنها جميعا تتشارك الفترات نفسها التاريخية فقد كان من الضروري إجراء دراسات مقارنة، لذلك توسعت مهام البعثة بالتنسيق مع دائرة الآثار العامة، لتشمل قلعة الشوبك، فأجريت عدة مسوحات لقلعة الشوبك ومحيطها، حيث بدأ مشروع لصيانة وترميم المعالم الرئيسية في القلعة بتمويل من الحكومتين الإيطالية والأردنية.

البعثة الفرنسية من المعهد الفرنسي للشرق الأوسط

يعتبر المركز الفرنسي من أنشط المراكز الأجنبية في مجال الدراسات الأثرية، ولذلك فقد عملت عدة مجموعات أثرية مختصّة على تنفيذ العديد من المسوحات الأثرية للقلعة والمناطق المحيطة بها، وجرى توثيق العديد من المواقع الأثرية في مناطق الشوبك والشراة الجنوبية مما أضاف معلومات هائلة عن النشاطات التي مارسها سكان القلعة وخصوصاً النشاطات الاقتصادية (زراعة وصناعة وتجارة). وتدلّل شبكة المواقع الأثرية حول القلعة أن أعدادًا كبيرة من الناس كانت تسكن هذه المنطقة، بل أنها أصبحت في فترة من الفترات وخصوصاً الحقبة المملوكية، قبلة للقبائل العربية المهاجرة من شمال الجزيرة العربية إلى بلاد الشام.

البعثة الأميركية برئاسة روبن براون

نفّذت هذه البعثة موسم مسح أثري وموسمي وحفريات ومجسّات استكشافية في عدة مواقع داخل القلعة خصوصاً في منطقة الحمّام، وقد نشرت تقارير هذه المواسم في حولية دائرة الآثار العامة (ADAJ) في منتصف الثمانينيات.

دور القلعة في توطين القبائل العربية

تشتمل قلعة الشوبك التي تبلغ مساحتها 107,603 دونمات على العديد من المعالم التي جعلتها خلال عدة مراحل من تاريخها مدينة متكاملة فيها كل ما يلزم سكانها لتحقيق الاستقرار الحقيقي في حالتي الحرب والسلم، وكان ذلك سبباً في استقرار العديد من القبائل العربية بعضها ما زال يسكن منطقة الشوبك المحيطة بالقلعة حتى اليوم، وبعضها غادر المنطقة في فترات مختلفة إلى شمال الأردن وغرباً إلى فلسطين. كما أقام السكان عدة قرى ومزارع في محيط القلعة حيث ظلّت القلعة ملاذاً وملجأً لهؤلاء السكان ومخازن لهم كما كانت مشتى للكثير منهم خصوصاً الفلاّحين ومربّي الماشية في الفترات التي سبقت إنشاء القرى التقليدية شرق القلعة.

ولقد ارتبط السكان بالمنطقة ارتباطاً عاطفياً ووجدانيا ولذلك نجد عائلات أردنية وفلسطينية ما زالت تعرف باسم «الشوبكي» أو «الشوابكة».

ويعيش في قرى الشوبك المحيطة بالقلعة اليوم حوالي 12 ألف نسمة يعودون في أصولهم التاريخية إلى قبائل عربية استوطنت قلعة الشوبك في فترات مختلفة واستقرت باستقرار الحكم الهاشمي في بدايات القرن العشرين[32].

32- الهباهبة، المرجع السابق.

خطة التطوير المقترحة

تتوفر في قلعة الشوبك جملة المعطيات التي تعتبر عناصر القوة لأية خطة تطوير وتأهيل للموقع، ومن هذه المعطيات:

- **القيمة التاريخية**

أقيمت قلعة الشوبك على أنقاض برج مراقبة نبطي كما دلّت على ذلك الأبحاث والحفريات والمسوح الأثرية التي جرت في الموقع، كما كانت قلعة الشوبك محرّكاً أساسياً في الحروب الصليبية بسبب تميّز موقعها على طريق الحج الشامي وطريق العراق والشام مع مصر والجزيرة العربية، وكذلك استمرت قلعة الشوبك رمزاً لقوة السلاطين المماليك؛ فهي دائماً تتبع الأقوى وحكامها هم دائماً أتباع ذوي السلطة والنفوذ في بلاد الشام أو مصر.

- **القيمة الاجتماعية**

لقد أثرت قلعة الشوبك في العلاقات بين القبائل العربية التي استوطنت القلعة في مراحل مختلفة من تاريخها، فتشكّلت الأحلاف القبلية لمواجهة الأخطار تارة ولتقاسم الموارد الطبيعية من مياه ومزارع وتجارة تارة أخرى. وما زالت هذه العلاقات التي تأسّست وتشكّلت بداياتها في ربوع القلعة، قائمة إلى اليوم وتتعمّق بفضل الأثر النفسي والاجتماعي للظروف التي أحاطت بهذه القبائل عندما احتموا بأسوارها وتسمّوا باسمها، ولذلك نجد العديد من العائلات في مختلف المدن الأردنية والفلسطينية تعرف بـ»الشوابكه» أو «الشوبكي» وترتبط هذه العائلات بعلاقات ودّ وتزاور توارثته الأجيال اللاحقة عن السابقة.

- **القيمة الاقتصادية**

لقد أصبحت قلعة الشوبك من أهم مقوّمات ومحرّكات عجلة الاقتصاد المحلّي لقرى الشوبك، وتنبع هذه الأهمية من انعدام النشاطات الاقتصادية في المنطقة ومن الأمل الذي يتركّز على صناعة السياحة، وذلك لاعتبارات عدّة أبرزها موقع قلعة الشوبك على طريق البتراء، أهم المواقع التاريخية والأثرية والسياحية في الأردن. وقد أدركت وزارة السياحة والآثار هذا الأمل وبدأت دائرة الآثار مشروع ترميم وصيانة قلعة الشوبك منذ عام 1995، وأقامت وزارة السياحة مركزاً للزوّار بالقرب من القلعة لتوفير الخدمات اللازمة لهم.

- **الموقع المتميّز**

يعتبر موقع قلعة الشوبك من عناصر القوة الأساسيّة لأية خطة مستقبلية لتأهيل الموقع وتطويره؛ حيث تقع بمحاذاة الشارع العام الذي يخترق التجمّعات السكانية في الشوبك وعلى بعد 2 كم تقريباً منه. ويربطها مع البتراء طريقة رئيسية عريض بمسافة 34كم حيث توجد كلية للدراسات الأثرية التابعة لجامعة الملك الحسين بن طلال، إضافة إلى قربها من البتراء التي تزورها أعداد ضخمة من السواح العرب والأجانب.

- **خدمات البنية التحتية**

يصل إلى مركز زوّار الشوبك عند القلعة تيار كهربائي وخط مياه وهاتف وطريق معبّد تجري حالياً عملية تأهيله وتحسينه، وكلها تعتبر خدمات ضرورية لأية مشاريع تطويرية وتأهيلية مستقبلية، إضافة إلى مركز معلومات يقدّم المعلومات اللازمة عن القلعة من خلال نشرات سياحية بعدة لغات، وأدلّاء سياحيين مرخص لهم من وزارة السياحة شاركت دائرة الآثار في إعدادهم وتأهيلهم لهذه الغاية.

- **إهتمام متزايد**

ومما يعزّز فرص التطوير والتأهيل في المدى المنظور هو الاهتمام المتزايد الذي تبديه الحكومة حيث أطلقت في شهر أيلول من عام 2004 الإستراتيجية الوطنية للسياحة التي تهدف إلى تطوير وتأهيل مواقع سياحية جديدة، إضافة إلى اهتمام البعثات الأجنبية العاملة في الأردن بإجراء المزيد من الدراسات والحفريات في الموقع. ويأتي هذا الاهتمام متوافقاً مع ضغط المجتمع المحلّي الذي يرغب بالاستفادة من فرص تأهيل الموقع سياحياً من خلال إيجاد فرص عمل جديدة واستثمارات سياحية في المنطقة.

مشروع صيانة وترميم قلعة الشوبك

باشرت دائرة الآثار العامة الأردنية مشروعاً وطنياً مستمراً منذ عام 1995، ويموّل المشروع من موازنة دائرة الآثار العامة بمبلغ 30 ألف دينار سنوياً حوالي (45 ألف دولار) وتتشارك دائرة الآثار العامة مع سلطة المصادر الطبيعية الأردنية في عملية الإشراف على تنفيذ هذا المشروع لأسباب عدة أبرزها:

- إشراك المؤسسات الوطنية الأخرى في صيانة المواقع الأثرية كجزء من برنامج التوعية الشامل بأهمية التراث وضرورة المحافظة عليه الذي تبنّته دائرة الآثار العامة منذ سنوات.
- الاستفادة من الخبرات اللازمة لصيانة المواقع والمباني الأثرية مثل قسم الجيولوجيا وميكانيكا التربة في سلطة المصادر الطبيعية.
- دعم الخبرات الوطنية والتحرّر من الاعتماد على الخبرات الأجنبية في قضايا التراث وصيانة الآثار والمباني التاريخية.
- زيادة خبرات كوادر دائرة الآثار في الجوانب الفنية والعلمية والتحاليل المخبرية التي تتوفر لدى المؤسسات الوطنية الأخرى وكوادرها بحكم الاختصاص والإمكانات التكنولوجية المتوفرة لدى هذه المؤسسات، بالإضافة إلى العلاقات المهنية التي تنشأ طبيعياً مع موظفي هذه المؤسسات بسبب هذه المشاريع المشتركة.

إسهامات قلعة الشوبك في الحركة الثقافية في بلاد الشام ومصر

لقد سجّل لنا التاريخ عظماء في مختلف الميادين ولدوا وتربوا وعملوا في هذا الحصن. فقلعة الشوبك لم تكن تعيش على هامش الأحداث في بلاد الشام بل كانت صانعة للتاريخ ومحرّكة للأحداث، ولذلك أسهم علماؤها في نشر العلم والأدب في دمشق والقاهرة والخليل والكرك وبيت المقدس ومكة.

وانطلاقا من أهمية موقع قلعة الشوبك لأغراض فرض القوة والسيطرة وبسط الأمن على ملتقى الطرق في العالم الإسلامي في العصور الوسطى تحديداً، كانت القلعة تنعم بالأمن أكثر من غيرها، فأصبحت قبلة العلماء والمبدعين، ولذلك تخرّج من قلعة الشوبك العديد من العلماء والقضاة الذين أسهموا في نشر علوم اللغة والأدب والدين والطب والقضاء مما جعلنا نقرأ في الموروث الثقافي العربي عن عظماء الأمة الذين ينتسبون إلى الشوبك، منهم على سبيل المثال:

* الطبيب علم الدين توما بن إبراهيم الشوبكي: كان من أصل نصراني، تعلّم مهنة الطب في الشوبك وأتقن هذه المهنة باحتراف، وقصده الناس للتداوي وذاع صيته في الأمصار حتى أصبح من أطباء السلطان الملك الناصر بن قلاوون المقرّبين، توفّي في القاهرة سنة 724 هـ/ 1323م.[33]

33 – إبن حجر العسقلاني أحمد بن علي بن محمد، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، 5 أجزاء، تحقيق محمد سعيد جاد الحق، (القاهرة، 1966م)، ج 2، ص 63.

* القاضي يوسف بن دانيال بن منكلي بن صرفا الشوبكي: من نصارى الشوبك الذين أسلموا وأحسنوا خدمة الإسلام والدين، رحل إلى دمشق وتعلّم علوم الفقه على يد فقهائها، وأصبح عالماً عارفا له مكانته، واشتهر في دمشق والكرك والشوبك وحواضر الشام آنذاك، ثم تولّى القضاء في الشوبك حتى توفّي فيها سنة 730هـ/1329م[34].

* جمال الدين يوسف الطبيب الشوبكي: كان ماهراً متميّزاً في الطب وأسراره ومارس هذه المهنة باحتراف وتمكّن في الشوبك، استهوته القاهرة فرحل إليها ومارس مهنته هناك حيث توفّي سنة 772هـ/ 1370م[35].

* أحمد بن محمد بن موسى التوزري الشوبكي: ولد بالشوبك سنة 746هـ/1345م، واسع الاطلاع غزير الثقافة، تعلّم علوم اللغة العربية والفقه وأصول الدين، رحل إلى مكة واشتغل بقراءات القرآن والعلوم وكان ورعاً عابداً، توفّي بمكة سنة 800 هـ/1397م[36].

* هارون بن عيسى بن موسى الشوبكي: رحل إلى الخليل حيث أقام فيها واشتغل هناك بتدريس الحديث وعلوم الدين والتفقّه ومخالطة العلماء، كان تقياً ورعاً زاهداً، توفّي في الخليل سنة 849هـ/ 1446م[37].

* محمد بن سليمان بن داوود بن بدر بن علم الدين الشوبكي: أقام في القاهرة وتدرّب على يد قريبه ابن الكويز كاتب السرّ بالديار المصرية فبرع في الكتابة والإدارة، واسع الاطلاع وصاحب مشورة وعلم غزير، أصبح ناظر الذخيرة ثم ناظر الخاص لعلمه وكفايته، توفّي سنة 885هـ/ 1480م[38].

* زينب إبنة أحمد بن محمد بن موسى الشوبكي: أم حبيبة، أقامت مع والدها بمكة، ثم ذهبت إلى مصر لتتفقّه على شيوخها وعلمائها ثم عادت لتجلس في الحرم

---

34 – إبن حجر العسقلاني، **المرجع نفسه**، ج 5، ص228.

35 – تقي الدين أحمد بن علي، المقريزي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة، 1934 – 1973م)، ج 3، ص 194.

36 – إبن حجر العسقلاني، **أنباء الغمر بأبناء العمر**، تحقيق حسن حبشي، (القاهرة، 1969م)، جـ2، ص672.

37 – يوسف درويش، غوانمة، **الحياة العلمية والثقافية في الأردن في العصر الإسلامي**، (إربد، 1984م)، ص 73.

38 – شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، (القاهرة، 1353 – 1355هـ)، ج7، ص259.

للحديث والتعليم، خيرةٌ صالحة كثيرة الصدقة والصيام والطواف، توفّيت سنة 886هـ/ 1481م[39].

الخاتمة

رغم أن قلعة الشوبك هي واحدة من ثماني قلاع في محافظة معان جنوب الأردن وواحدة من عشرات القلاع على مستوى الوطن إلا أنها تحظى باهتمام كبير من قبل دائرة الآثار العامة، وذلك لعدة اعتبارات كما أسلفنا في هذه الورقة، هذا الجهد لن يكون الأخير. ففي محاولة لمضاعفة هذا الجهد تسعى دائرة الآثار العامة للبحث عن شركاء في هذه المهمة تتشارك معهم في ضرورة الحفاظ على التراث عموماً، ويشاركونها القناعة بخصوص قلعة الشوبك.

وكما قال مدير عام الآثار الأستاذ الدكتور فواز الخريشة، «إن وجدنا شريكاً فهذا خير وإلا فنحن مستمرّون ضمن إمكاناتنا، وسنسعى للمحافظة على هذا الجهد في أسوأ الظروف، فالرضا بما تم إنجازه لا يعني التقاعس عن البحث عمّا هو أفضل».

في كل عام يهجر مدينة الشوبك عشرات الأفراد، والصامدون الصابرون من أهلها يتطلعون إلى القلعة التي اجتذبت أجدادهم في يوم من الأيام لمعاودة اجتذاب الأحفاد إليها مرة أخرى، والأمل معقود على ما ينجز في قلعة الشوبك من فرص الاستثمار والعمل.

39 – السخاوي، ج 12، ص 39 و40.

المصـادر والمراجـــع

1) إبن منظور، **لسان العرب**، ط3، دار بيروت، 1994.

2) أبوالفداء، إسماعيل بن محمد، **تقويم البلدان**، باريس، دار الطباعة السلطانية، 1840.

3) البخيت محمد عدنان، مملكة الكرك في العهد المملوكي، ط1، 1976.

4) البغدادي، صفي الدين، عبد المؤمن بن عبد الحق، **مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تحقيق علي البجاوي، بيروت، دار المعرفة، 1954.

5) الحموي، ياقوت، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لا. ت. لبنان.

6) الرواضية، المهدي عيد، **الأردن في موروث الجغرافيين والرحالة العرب**، عمان، وزارة الثقافة، 2002.

7) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، 12جزء، مكتبة القدسي القاهرة، 1353 – 1355هـ، ج7.

8) شيخ الرّبوة، محمد بن أبي طالب الدمشقي، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، بغداد مكتبة المثنّى.

9) الظاهري، غرس الدين بن شاهين، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، تصحيح بولس راويس، باريس المطبعة الجمهورية، 1894.

10) العسقلاني ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، 5 أجزاء، تحقيق محمد سعيد جاد الحق، مطبعة المدني، القاهرة، 1966.

11) .....، **أنباء الغمر بأبناء العمر**، 3 أجزاء، تحقيق حسن حبشي، دار التحرير للطباعة والنشر، القاهرة، 1969.

12) العمري، إبن فضل الله، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (دولة المماليك الأولى)** تحقيق دورويتا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، 1986.

13) غوانمة، يوسف درويش، **إمارة الكرك الأيوبية**، منشورات بلدية الكرك، الأردن، 1980.

14) .....، **الحياة العلمية والثقافية في الأردن في العصر الإسلامي**، دار هشام للنشر والتوزيع، ، ط1، إربد، 1984.

15) .....، **شرق الأردن في عصر دولة المماليك الأولى**، وزارة الثقافة والشباب، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمّان، 1979.

16) المغربي، إبن سعيد علي بن موسى بن محمد، **بسط الأرض في الطول والعرض أو الجغرافية**، تحقيق خوان فرنيط خينيس، تطوان: معهد مولاي الحسن، 1958.

17) المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1934 – 1973.

18) **المنجد في اللغة والأعلام**، ط27، بيروت، دار المشرق، 1984.

19) المومني، سعد محمد، **القلاع الإسلامية في الأردن: الفترة الأيوبية المملوكية**، دار البشير، عمان، 1988.

20) الهباهبة، طه، **الشوبك في التاريخ والوجدان الشعبي**، جـ1، عمان، 1984.